

الحصبة خداعة مروعة

١ — كان الطبيب العربي ابن سينا أول من أطلق اسم الحصبة على هذا المرض في أواخر القرن العاشر أى منذ حوالى الألف سنة . وكان القوم قبل هذا يخالطون بينه وبين الجدري ويعتبرونهما مرضاً واحداً متفاوت الشدة . فيأله من قول فاصل انتصب واقفاً من بين مضارب خيام البيد والعربان !

٢ — أكثر ما تصيب الحصبة الأطفال الصغار ، ويندر أن يصاب بها الأطفال حديثو الولادة ، ويعزى هذا إلى مناعة اكتسبوها عن طريق أمهاتهم — ولكنها لا تعرف سناً ولا مقاماً !

٣ — تبدأ الحصبة بعطس وزكام وسعال جاف وارتفاع متفاوت في الحرارة قبل ظهور الطفح في اليوم الرابع من المرض . وتسكون العدوى على أشدها في الدور الذى يسبق ظهور الطفح أى حين لا يشك أهل المريض في وجود المرض ، فيسمح لغيره بالاختلاط به وقد يرسل إلى المدرسة ظناً من الأم أن ما به لا يعدو يرداً بسيطاً أو زكة طارئة لا تستدعى بقاءه في المنزل ، فيختلط المجرم البريء بإقرانه يعمل ويعطس في وجوههم ناقلاً إليهم العدوى في بساطة وحسن نية . وهذا هو السر في سرعة انتشار

المدوى فى المدارس والملاجىء وبين أفراد العائلة الواحدة .

٤ — تبدأ الحصبة كما قلنا بعطس وزكام وسعال جاف واحمرار فى العينين وخشونة فى الصوت وارتفاع فى الحرارة يبدأ بسيطاً ثم لا يلبث أن يصل إلى ٣٩ ، ٤٠ درجة ويظهر الطفح فى اليوم الرابع من المرض . وقد يسبق ظهور الطفح نزول كاذب فى الحرارة يولد فى أهل الطفل أملاً كاذباً بزوال الأزمة .

٥ — يجب أن تنزل الحرارة إلى مستواها الطبيعى فى اليوم السابع من المرض ولا يحول دون نزولها إلا حدوث مضاعفات أهمها التهاب الأذن والتهاب الرئوى .

٦ — حذار من الاستهتار بالحصبة فإنها والله خداعة مراوغة يغرنا لين ملمسها حتى لقد تعتمد الأم إلى خلط بقية أطفالها بالطفل المريض لتقوم بتمريضهم دفعة واحدة بل وقد تدفعها نعمة الكرم الشرقى إلى إخطار الجيران والأقارب بأنها على آتم استعداد لأن تسدى إليهم معروف السماح لأطفالهم بمخالطة طفلها ليأخذوا دورهم وينتهوا من هذه المضايقة العابرة التى يسمونها الحصبة اوياله من فضل عظيم ! إن للحصبة مضاعفات قد تودى بحياة الطفل ومن أهمها المضاعفات الصدرية والتهاب الأذن والنزلات المعدية المعوية المصحوبة بإسهال شديد ، وقد يتأثر الجهاز العصبى بميكروب الحصبة فيفقد المريض من غيبوبة قد يعقبها ضعف فى القوى العقلية أو شلل بأحد الأطراف .

٧ — جرت العادة في حالات الحصبة أن تقفل نوافذ الغرفة

وتغطى مصابيحها بأقشة حمراء ويلبس الطفل ملابس حمراء حتى
ليبدو كمروس المولد اعتماداً على أن لكل هذا تأثيراً في سير المرض
وهذا خطأ في خطأ . فإن دخول الشمس والهواء إلى غرفة
المريض يزيد من مقاومته للمرض ، وإذا كانت عينا الطفل تتأذيان
من الضوء — وهذا هو الأصل في سبب تغطية المصابيح بقماش
أحمر — فيمكن وضع نظارة سوداء على عيني الطفل أو تحويل
موضعه بحيث يتجه وجهه بعيداً عن الضوء .

٨ — وحقنة العسل الأسود العتيقة ! يالها من تقليد أسود بال

يجب أن ينتهى وينقرض ! تعتقد الأمهات أن إعطاء الطفل
عسلاً أسود عن طريق الفم أو الحقنة الشرجية يساعد على ظهور
الطفح . . وذلك خطأ مضحك ليس له أساس علمي ، وهو يعرض
الطفل للإصابة بالإسهال الشديد أو الدوسنتاريا الحادة التي قد
تكون وطاتها على الطفل أشد من الحصبة ذاتها .

٩ — هل هناك سبيل للوقاية من الحصبة ؟ لقد ثبت أن حقن

المخالطين بدم الناقهين (أى الذين في دور النقاهة من مرض
الحصبة) أو الأشخاص البالغين الذين أصيبوا بالمرض في أحد
أدوار حياتهم ، في خلال الخمسة الأيام الأولى بعد التعرض للعدوى
يوقف المرض كلية . أما إذا حقن بعد ذلك فإنه يساعد فقط على
التخفيف من حدة المرض ووطاته . وقد تنجح مركات السلطاناميد

في منع حدوث المضاعفات . وتكسب الحصبة نفسها المريض
مناعة دائمة في أغلب الحالات ولو أن الطفل قد يصاب بها مرة
ثانية وثالثة وهذا نادر الحدوث .

١٠ — فلنعلم أن الحصبة ليست بالرحلة الممتعة التي تظنون !
إن لها عواصفها ورمالها ومنحنياتها ومنعرجاتها وما خفي منها أروع
مما يبدو للعين غير الناقدة فاحشوا الحصبة فإنها والله لعينة تخدع
بلين ملمسها بينما تتأهب للضربة القاسية إذا وابتها الظروف .

حنانك يا أم ورحمك يا والد

١ — لطف عليك أيها الطفل البائس ! ما أقصر المسافة بين
أيدي الأقوياء من حولك وخذك التاعس ! سرعان ما ترن عليه
الصفعة ، فإذا بدا منك احتجاج أو لفظة ، ركلك بالأرجل
والنعال ، وشدوا منك الشعر والأسمال ، ورفعوا أيديهم إلى
السماء ، مستعينين عليك بسيد الأقوياء ، الجبار القهار ، الذي
يصدر حكمه عليهم مهما انتحلوا من أعذار ، لأنه عليم بضعفك ،
مضطاع على عذرهم وعذرك . لقد أعطى لهم العقل وحسن
الإدراك ، وناط إليهم بمسئولية حمايتك من موارد التلف
والهلاك . فإذا بهم يستعدون الله عليك ، ويصيحون لبيك اللهم
لبيك ! هلا استرددت وديعتك وأرحتنا من هديتك ! خطرفة
وهذيان ، أقسم أنها لا تعدو في عمقها طرف اللسان !

٣ — إنك والله مسكين أيها الطفل . يحسدونك على نضارتك
ويغرم منك نشاطك وجمرتك . أنت تمثال فارغ أو هيكل من
الورق المقوى ، قد تكون في الصباح أروع ما تكون نضارة ،
فإذا بك في المساء بين سويعات قلائل تتلوى على فراش المرض .
وقد يحملك ملاك الشفاء على جناحيه إلى أحضان والديك من

جديد ، أو قد يذهب بك الشيطان إلى حيث لا تريد ولا تريد .
وعندها نندم على تصرفنا نحوك وبصيح الجاني قائلاً ليت يدي
شلت قبل أن تضربك ولت لسانى خرس قبل أن يدعو عليك !
٣ — نعم ! إنك والله لخلق ضعيف مسكين رغم مسحة
الجبروت التى تبدو فى شقاوتك ومعا كستك المستمرة لوالديك !
فى عالمك الصغير أمراض تعصف وتنقض كالصاعقة من بين
السحب . فقد تقضى عليك الدفترىا فى أيام وشلل الأطفال فى
ساعات والتيفود فى أسابيع فإذا بالحركة المستمرة همود أبدى وإذا
بالتى تعودت أن تصيح فى وجهك وتضربك على خدك وتركلك فى
ظهرك ، تصيح مولولة باكية وتضرب صدرها قائلة يا ليتنى مت
قبل هذا ! وإن نسيت لن أنسى ما حدث فى الشهر الماضى عند
ما طرق بابى فى ساعة متأخرة من الليل والد متها لك يحمل بين
يديه وديعة ثمينة هى ابنه الوحيد وكانت تصحبه زوجة تظاهرت
بالشجاعة وطلبا منى إسعاف ابنهم الذى كان منذ يومين فقط ملء
الدنيا ، يملأ البيت عليهم بصياحه ولعبه حتى أنهم اضطروا إلى
ضربه فى صباح الأمس وما أن أتى المساء حتى تجندل الضعيف
المسكين بمرض فجأئى أخذ يهوى الطفل بسببه إلى الوادى السحيق :
وادى الموت ! وعند ما قت بفحصه وجدته ميتاً ، ولما أفضيت
إليهما بالحقيقة المرة صاح أحدهما يا ليتنى لم أضربك يا بنى بالأمس
حتى تموت راضياً عني ! فلتغفرلى روحك فلم أكن أقصد إلا فائدتك .

٤ — الطفل مخاوق يمكن الضحك عليه ومحايلته ومسايسته
بأتفه الطرق وأبسطها . ترضيه كلمة وتهنيجه إشارة . ومتى ضغطنا
على الزناد بدأ هو دور العناد وإذا شددنا الحبل شده هو الآخر
بيديه الرقيقتين حتى تكل أيدينا القوية . وفي مقدورنا تجنب
المعركة الأبدية بقليل من التفاهم وحسن المعاملة . ما قابلت أمّاً إلا
وشكت من طفلها الشقي المتلاف العايب ! فأقول لها إن الطفولة
معناها ومبناها الشقاوة والإتلاف والعبث . فتقول لي لا أظن أن
في العالم أطفالاً كأطفالهم قضيعون ، إنهم وحوش ! لقد هدوا
منى الحيل ! فأقول لها كلمتي الخالدة التي أهمسها دائماً في أذن كل
أم حتى لا يسمعني طفلها . إن الشقاوة خير من الموت والمرض .

هل من سبيل لإطالة العمر ؟

كلما سألت شخصا في أى بلد من بلدان العالم عن مجريات الحياة ، أجابك في لغته الخاصة « إنها سائرة » . فكان الجميع متفقون على تشبيه الحياة بعجلة تدور وأجسامنا الفانية بآلات ركبت عليها ، تسيرها أو تسير معها إلى حيث يوجهها خط الحياة ومن يدرس تفاصيل الجسم الآدمي من الوجهتين التشريحية والفسيولوجية ، يدرك أن هذه الآلة التى تعمل وتفكر وتنتج بلا انقطاع لسنين عديدة قد تعدو المائة ، أحوج ما تكون إلى أن يتمهدها الذى وهبت له - وهو الإنسان نفسه - بكل عناية ورفق . وبقدر العناية التى يغدقها الإنسان على الآلة البشرية المعقدة ، يطول عمره أو يقصر وتسعد حياته أو تشقى . حقيقة أنه لكل أجل كتاب ولكن ما الطب الوقائى والعلاجى إلا وسيلة من الوسائل التى يلهم الله بها بعض عباده ، لينقذوا ، إخوانهم من براثن موت محقق . وفى اعتقادى أن علماء الطب الحديث فى مختلف فروعهم ، قد أدوا إلى البشرية خدمات جلى تضعهم فى مصاف الأنبياء والرسل . تأمل معى قرص السلفاناميد العجيب ، وفكر فيما فعله البنسلين واذكر كيف فتك الزهري فى غابر الزمان ثم كيف روضه العلماء كما تراض الأسود والفيلة الضخام . ويجب ألا

ننسى الأنسولين وعجائبه في علاج مرض البول السكري ، وتقدم
فن الجراحة الذي أنقذ أرواحاً لا حصر لها . من هذا نستنتج
أن اطراد تقدم الطب العلاجي عامل هام في إطالة حياة كان مقدراً
لها أن تقصر لو تصادف وجودها في عصر غير الذي اكتشف
فيه الدواء المناسب .

ولقد وهب الله لكل مجموعة منا مزاجاً خاصاً ، فهناك شخص
يأخذ الحياة ببساطة يبتسم للصعاب والعقبات ولا يبالي بما يعرض
له من مسئوليات ونكبات . لا يقطب جبينه إلا عند ما يحاول
إجتهاد فكره في اختراع دعاية يتسلى بها على الآخرين ، يستلقي
على ظهره فوق أمواج الحياة في تراخ محبوب ناظراً إلى زرقة السماء
في غير تحد ، ضارباً يديه أو رجليه بين حين وآخر ليمتدح خطوة
إلى الأمام أو يتأخر خطوة إلى الوراء . وهناك شخص ينظر إلى
الحياة بمنظار أسود لا يبتسم إلا ما ندر ، وآخر يميل إلى العزلة
والهدوء والسكون ، ورابع يفرط في اللهو والشراب ويصل فيهما
الليل بالنهار ، فلا يعطى لجسمه الراحة الكافية فتدب الشيخوخة
في جسمه قبل الأوان . وغنى عن القول أن لنوى المزاج الهادئ
المعتدل فرصة أكبر لحياة أطول وأكثر هناءة . فعلينا جميعاً أن
نجتهد في ادخار بعض نشاط الشباب لنستعين به في سنين المشيب
والوهن . ولا يتأتى ذلك إلا بمراعاة الاعتدال والحد من الانغماس
في بهيميات الحياة ومادياتها .

إننى أعتقد اعتقاداً جازماً أن هدوء البال وأسلوب المعيشة عاملان هامان فى إطالة الحياة . كنت عند ما أصر بالقريّة الانجليزية أثناء رحلاتى فى إنجلترا أعجب كيف يموت الذين يعيشون فى جوها الهادئ الجميل فينظر إلى سائق السيارة ويقول مداعباً : « إنهم يبذلون أقصى جهدهم . إنهم يعيشون إلى ما بعد الثمانين . . » وكنت عند ما أشاهد ما يتمتع به أهالى البلقان من صحة وفيرة وقامة مديدة يقال لى إن هذا يرجع علاوة على مناخ الجبال إلى غذائهم المفضل وهو « الايران » أى الزبادى المضروب فى الماء والمعلوم أن جراثيم التخمر فى هذه الألبان تقاوم جراثيم التعفن الموجودة بالأمعاء فتعمل على تحسين الصحة وبالتالي تؤدي إلى إطالة العمر . أما البائس الذى يقطن المناطق الحارة والاستوائية فهو لا يملك إلا أن يموت نتيجة الجو الحار المرهق والأمراض التى ينقلها الذباب والبعوض . نخلصوه منها وحسنوا وسائل معيشتهم يعيش طويلاً وطويلاً جداً .

صدقونى أن حظنا من الحياة « قسمة ونصيب » لماذا نقارن الذى قدر له أن يولد فى جحيم الاستواء بالذى قسم له أن يوجد فى جنات الشمال . وهل يستوى أبناء الملوك وأبناء الصعاليك . ولماذا يموت الفقراء بالآلاف بينما تقل الوفيات بين ذوى اليسار . ولم نلوم من يموت مبكراً إذا كان بعائلته علة وراثية لا قبل له بتفاديها كضغط الدم وتصلب الشرايين ، بل ألا يحدث أن يموت

الإنسان رغم تمتعه بكل العوامل التي تطيل العمر .

إن واجب الإنسان أن يعيش هادئاً معتدلاً متمتعاً ما أمكن

بكل وسائل المدنية من وقاية وعلاج ، وبكل ما في الطبيعة من

جمال ورياضة ، مبتعداً عن كل ما يسبب الانفعالات النفسية .

وبمدها فليأت الموت إذا شاء فإنه حق على الجميع .